كيف نغرس في اجيالنا حضور دائم للشهيد

بقلم: محمد نور يحيى

بعد ان احتفلنا بذكرى الاستقلال كما هو العادة في كل مرة ننتقل لإحياء يوم الشهداء ،حيث يتم إحياء ذكرى الشهداء امام مقبرة الشهداء ، ثم يفتح الموقع امام الاسر والرفاق للزيارة والوقوف على قبور الاحبة وفاء ، وينقضي اليوم بالوقوف دقيقة في منتصف النهار ويودع اليوم على امل اعادة نفس السيناريو في الذكرى القادمة.

الان وخلال السنين القلائل القادمة قد يحمل بعض الرفاق ذكريات حية يستعيدون فيها ذكرى المعاناة اليومية والالام والجروح والمعارك ، يسترجعون فيه شريط ذكريات لحظات من سقطوا شهداء في المعارك ، وقد يسجل الاخ والابن والبنت والزوجة زيارة لقبر الشهيد وقد حمل كل منهم بعض العواطف والذكريات التي جمعتهم بالشهيد ،لكن حتى لا تكون هذه المناسبة بعد فترة ضمن ذكريات روتينية فقدت زخمها بمرور الزمن ، بحكم كثير من العوامل، وما يشكله تقادم الذكرى وعوامل نسيان الذكريات الحية ، علينا من الان ان نرسخ في الذاكرة حضور دائم للشهداء ، لكل زائر سواء كان مواطنا او زائر اجنبي وهو امر ممكن ، بما يجعلنا نعيش لحظات إستشهاد الشهيد دون انقطاع ، وذلك بتوظيف التقنية الحديثة وإستغلال الذكاء الاصطناعي بما فيه من إستخدام مؤثرات الصوت والصورة والاضاءة.

فمنذ إفتتاح مقبرة الشهداء مرت اكثر من ثلاثة عقود منذ دفنت بها اول دفعة ، او نقل فيها رفاة شهداء سابقين ، لذلك عملاً بالاستفادة من مساحة مقبرة الشهداء، لنأخذ أسمرا كنموذج يمكن عمل الاتي:

ـ بناء نصب تذكاري للشهداء من مواد مقاومة للحرارة والرطوبة ومقاومة للكوارث الطبيعية بالاستفادة من تجارب الاخرين ، بالأخذ من آخر ما وصلت اليه الابداعات في اقامة نصب الشهداء ، على الآ يقل ارتفاعه عن 65 متراً في إشارة الى التقديرات المتداولة حول عدد الشهداء ، وذلك وفق التصورات الجمالية الحديثة بالاستفادة مما بلغته الفنون من تطور بالاستعانة بالذكاء الاصطناعي ، وعلى إرتفاع بحيث يرى النصب من كافة مواقع المدينة سواء كان الوقت ليلاً عبر اضاءات مميزة أو نهاراً.

ـ يشمل النصب عدة مباني تشمل مكتبات وقاعة عرض واجتماعات ، ومكتبات متضمنة احدث ما انتجته التقنية الحديثة من مؤثرات صورة وصوت واصداء وإيحاءات وتقنيات الذكاء الاصطناعي، وأنظمة الاستشعار، في صورة اقرب لشهادات سواء عبر تسجيلات سابقة لشهداء او تقارير عنهم او سرد تاريخي بطريقة مؤثرة تخلف انطباعاً مؤثراً عند الزائر ، على ان تتضمن بعض الغرف مجسمات تحكي التعذيب الذي مارسه العدو بحق المناضلين في السجون او من وقعوا في الاسر في غرف مجهزة بالمؤثرات الصوتية.

ـ حفاظاً على المساحات المحدودة يمكن ان نستخدم السبل التالية:

اولا - قوائم باسماء الشهداء بشكل موجز من قبيل الاسم وتاريخ الالتحاق وتاريخ الاستشهاد والموقع.

ثانيا - ان تكتب اسماء الشهداء من الرعيل الاول أي 1961-1971.

على ان يدرج بقية الشهداء وفق التسلسل الزمني بشكل مخروطي تحت قائمة الرعيل.

ثالثا - بما ان مقبرة الشهداء مر عليها اكثر من ثلاثة عقود يتوقع ان تبقى العظام فقط وهذه تكون في صندوق اسمنتي صغير بمساحة 40 X20سم،

يكتب عليه الاسم وتاريخ الالتحاق ومكان وتاريخ الاستشهاد على ان يتم رصها وتنظيمها بشكل انيق ومرتب مع وضع في الاعتبار الجانب الجمالي وضيق المساحة.

اقول ذلك وفي ذهني التوابيت الاسمنتية المعلقة التي يتم تنفيذها في مقبرة الشهداء باسمرا ، وفي ظني انها ليست عملية لكون هذه الصناديق بطول التابوت ، يحجز مساحات كبيرة ولا يستوعب الاعداد الكبيرة من الشهداء حتى لو بنيناها على طوابق، بالإضافة الى انها تكلف الكثير من المال والجهد، خاصة اننا بحاجة كبيرة لكميات الاسمنت المستخدمة ، ولذلك تصبح فكرة غير عملية.

ـ اقترح أن نخصص الجزء الجنوبي (القديم) من المقبرة للمناضلين بحكم ان اغلب من دفنوا به من المناضلين ، على ان يخصص الجزء الشمال لمنتسبي الخدمة الوطنية ، في اطار الدار الواحدة، بما يعزز مفهوم وارساي يكألو الذي يعني إستمرار نفس الروح التي حررت البلاد تواصل تضحياتها ودورها في جيل الابناء لحماية السيادة الوطنية والانطلاق لتعمير البلاد ونهضتها وإزدهارها.

لإنجاز هذا العمل الجبار فإن الامر يحتاج الى دراسة وتشكيل جهة تتابع الامر تقوم بما يلي:

ـ تقييم للفكرة ما إن كانت ممكنة وبالإمكان إنجازها.

ـ وضع تصور وتقديرات للتكاليف والجهات التي تشترك في هذا العمل الجبار.

ـ وعندما يوضع التصور لذلك يعلن عن مسابقات للفنانين والجهات المتخصصة في هذه المجالات ، سواء كانت محلية أو اجنبية حول تصور لنصب الشهداء وفق تصور الهيئة او المؤسسة.

في عصرنا الحديث هذا الذي تميز بالإيقاعات السريعة للحياة ، لم تعد وسائل التاريخ المكتوبة جاذبة ،بل اصبح تلخيص المعلومة في جرعات

مكثفة ، وفي زمن وجيز ،وقد تم استعاضة كتب التاريخ بإستخدام التكنولوجيا الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي التي تستحوذ على اهتمام الشباب ضمن فضاءات ضرورية لإحياء الذاكرة الجماعية وحماية التاريخ من النسيان، وذلك بتشجيع العائلات والمؤسسات التربوية على تنظيم زيارات دورية للمتاحف، حتى يبقى التاريخ حاضرا في وجدان الأجيال الحديثة.